شهرية السياسة الدولية

سعدت مصر أثناء شهر يناير بتشريف حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود لها زائراً لحضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فاروق الاول . وكانت هذه الزيارة رداً لزيارة تفضل بها ملك مصر الكريم ، فى العام الماضى للبلاد العربية السعودية . وقد التقى الملكان العظيمان ذلك اللقاء التاريخى الذى أعطى اسم رضوى معنى جديداً فى التاريخ العربى الحديث . معنى جديداً له أثره البعيد ، وقيمته الحافلة بالنتائج العظيمة التى ظهر بعضها ، والتى ستكشف الأيام عن سائرها ، والتى تصور أصدق تصوير مكانة الملكين العظيمين من الشعوب العربية وحرصهما على تقوية العروبة ، وتمتين الصلات بين شعوب الشرق العربى من جهة ، وتمكين هذا الشرق العربى من أن يقف قوياً ، مجتمع الكلمة موحد الرأى ليواجه الحوادث العالمية الكبرى وليشارك غيره من أقطار الأرض المتحضرة ، فى إقامة العالم الجديد على أساس من الحق والعدل ، والكرامة والمساواة بين الشعوب ، وقد فهم الشعبان هذه المعانى ، وقدرها حق قدرها . فكان فى الحفاوة التى لقيها ملكنا العظيم حين زار الحجاز ، وفى الحفاوة التى لقيها الملك العربى الكريم حين زار مصر ، دليل قاطع على أن هذين الشعبين يقدران حقائق السياسة ودقائقها ، ويشعران بما تحتاج إليه البلاد العربية فى هذه الظروف من جمع الكلمة ، وتوحيد الرأى ، وتحقيق التعاون ، وثيقان كل الثقة بأن مليكيهما العظيمين يشاركانهما فى هذا الشعور ، وفى هذا التقدير ، وينهضان بما تقتضيه الحياة الحديثة للشعوب العربية من الواجبات ، على أحسن وجه وأكمله . وليس من شك فى أن هذه الأعياد الشعبية الرائعة التى أقيمت للملكين العظيمين فى الحجاز ومصر ، ليست مجرد آيات للفرح والابتهاج ، ولكنها تدل على أشياء أبعد مدى من مجرد الفرح والابتهاج ، تدل على أن هذين الشعبين العظيمين يريدان مايريد ملكاهما من تحقيق العدل ، والحرية ، ورعاية الكرامة الانسانية ، لا فى الحياة الداخلية للشعوب فحسب بل فى الصلات الخارجية بين الشعوب أيضاً . فكل مظهر من مظاهر الفرح ، وكل آية من آيات الابتهاج ، وكل دليل من دلائل البشر والسرور ، وكل دعاء بحياة الملكين ، وتأييد ملكهما ، إنما هو إعلان لحرص الشعبين على ما يتمناه الملكان العظيمان ، ويعملان له من أن يعيش الناس فى حياتهم الخاصة والعامة ، وفيما يكون بينهم وبين أبناء الشعوب الأخرى من صلات عيشة قوامها الأمن والعدل والحرية والثقة .

والملكان العظيمان قبل كل شئ ، وبعد كل شئ رمزان عظيمان لمجد مؤثل عظيم أقامته بلاد العرب ، وأقامته مصر على مر العصور ، ولا بد لهذا المجد من أن يظل رفيعا ، ومن أن يزداد رفعة وشموخا كلما تقدمت الأيام ، ومن أن تشارك الأمم العربية كلها فى تثبيته والتمكين له والاضافة إليه . وهذه هى الأغراض التى يسعى إليها فاروق الأول ملك مصر ، وعبد العزيز آل سعود ملك الدولة العربية السعودية ، وهى الأغراض التى التقيا من أجلها فى اجتماع رضوى ، والتقيا من أجلها فى مصر ، ومن أجلها لم تنفرد مصر والبلاد العربية السعودية

بالابتهاج لهذا اللقاء والاغتباط به ، وإنما شاركت فيه الأمم العربية كلها ، من الخليج الفارسى إلى المحيط الأطلنطى ، لأن هذه الأمم كلها طامعة فى العدل ، طامحة إلى الحرية والكرامة وهى تعلم أن الملكين العظيمين لا يسعيان إلا لذلك ، ولا يفكران إلا فيه وهى تتمنى لهما فى مسعاهما الكريم أكمل النجح وأعظم التوفيق .

وليس من شك فى أن الأمم الغربية قد اهتمت لتبادل الزيارات بين الملكين العظيمين لأنها تقدر نهضة الشرق العربى وتحسب لها كل حساب وإذا كان للعرب أن يتمنوا شيئاً فانما هو أن تكثر هذه الزيارات الكريمة وأن تتجاوز مصر والبلاد العربية السعودية إلى غيرها من أقطار العروبة .

وفق الله الملكين العظيمين إلى الخير والنجح وهيأ لهما ولملوك العرب وأمرائهم ورؤسائهم من أمرهم رشدا .

وفى نفس اليوم الذى كان الملك العربى الكريم يشرف مصر فيه بزيارته وهو العاشر من شهر يناير كانت هيئة الأمم المتحدة تفتتح اجتماعها الأول فى لندرة . فكان البشر شاملا لأقطار الأرض كلها ، وكان الأمل باسماً لأجيال الناس فى كل مكان . فهيئة الأمم المتحدة أداة أنشئت لبناء العالم الجديد على أساس متين من العدل والمساواة بين الشعوب ، وفى ظل من السلام الشامل الكامل الموفور للناس جميعاً . وهى فى الوقت نفسه أداة أنشئت لتحقيق التعاون على ترقية الحضارة وإشاعة الرفاء وتأمين الناس من الخوف والبؤس والحرمان . وهى قد أنشئت بعد أن عبرت الانسانية أشد الأخطار وأعنف أعوام الهول ، فليس غريباً أن تستقبل الأمم اجتماعها الأول بكثير من البشر والأمل المبتسم الرضى . وقد مهدت الدول الثلاث الكبرى لهذا الاجتماع باجتماع وزراء خارجيتها الذى انعقد فى موسكو ، وقدر الناس أن هذه الدول الكبرى الثلاث قد رتبت أمرها ، وصفت ما بينها من خلاف ، وأن اجتماع هيئة الأمم المتحدة سيمضى فى طريق ميسرة مزللة لا تقوم فيها العقاب . وكانت الخطب التى ألقيت فى الأيام الأولى لهذا الاجتماع خليقة أن تملأ القلوب ثقة وأملا . وزاد هذه الثقة وهذا الأمل ما كان من انتخاب مجلس الأمن ورعاية الجغرافيا فى تأليفه فقد مثلت فيه الدول الخمس الكبرى بحكم الميثاق ومثلت فيه أمريكا الجنوبية ، ومثل فيه الشرق الأوسط بانتخاب مصر ، ومثل فيه شمال أوربا بانتخاب هولندا .

ولكن الأمور لم تجر كما كان الناس ينتظرون . فقد أثيرت المسألة الايرانية ، فكانت أول مشكلة امتحن بها مجلس الأمن ولم يكد مجلس الأمن يجتمع للنظر فى هذه المشكلة حتى أثارت روسيا مشكلة اليونان ومشكلة أندونسيا . وقد كان الناس يظنون أن الريح ستجرى رخاء فى الاجتماعات الأولى . فاذا هى تقصف من كل مكان ، وإذا الانسانية الآملة التى تتوق إلى الأمن والثقة تنظر فترى آن استواء سطح البحر واضطراب أمواجه فى خفة ورشاقة لم يكن يصور ثقة ولا أمناً ولا هدوءاً ، وإنما كان يخفى أمواجاً فى القاع تصطخب فى عنف شديد . فقد ظنت روسيا أن حلفاءها البريطانيين هم الذين دفعوا إيران إلى إثارة مشكلتها إلى مجلس الأمن .

فلم تدفع الحكومة اليونانية إلى إثارة مشكلة اليونان وإنما أثارتها هى لأن الحكومة اليونانية لا تستطيع أو لا تريد أن تثير هذه المشكلة ولم تدفع أندونسيا إلى إثارة مشكلتها لأن الأمم المتحدة لم تعترف بعد بالاستقلال لهذه البلاد . ولذلك أثارت أوكرانيا ، وهى من الدول الروسية السوفيتية ، مشكلة اندونسيا .

ونحن نكتب هذا فى الثالث والعشرين من شهر يناير والأمور معقدة أمام مجلس الامن ، وكل شىء يدل على أن الأمم المتحدة تواجه طريقين ، إحداهما تحقق العدل والحرية والمساواة وهى أخذ الأمور بالحزم ، ورد الحقوق إلى أهلها ، وإجلاء المحتلين عن الأرض التى يحتلونها مهما يكن هؤلاء المحتلون ، ومهما تكن الارض التى يكون فيها الاحتلال .

والأخرى تؤجل الشر ولكنها لا تلغيه ، ولعلها إنما تؤجله لتقويه وهى أن تساوم الدول الكبرى على حساب الدول الصغيرة ، فيخلى بين روسيا وإيران ليخلى بين بريطانيا العظمى واليونان ، وبين هولندا وأندونسيا . وأكبر الظن مع الأسف الشديد ، أن هذه الطريق الثانية هى التى ستضطر هيئة الأمم المتحدة إلى سلوكها .

وبينما تتعقد الأمور فى لندره على هذا النحو ، تنشأ فى باريس أزمة مفاجئة يهتم لها العالم الخارجى أشد الاهتمام . فقد استقال الجنرال دى جول من رياسة الحكومة المؤقتة وأعلن عزمه على اعتزال السياسة ، والقراء يذكرون أننا لاحظنا حين علقنا على انتخاب الجمعية التأسيسية فى فرنسا أن طبيعة الأشياء تقتضى أن يأتلف الاشتراكيون والشيوعيون لينهضوا معاً بأعباء الحكم ، وإن قد كان هناك ميل إلى أن يبامن الاشتراكيون ويأتلفوا مع الجمهوريين الشعبيين اتقاء لخطر الشيوعية وإيثاراً للتعاون مع بريطانيا العظمى لما بين البلدين من التجاور فى أوروبا وفى غيرها من القارات .

ولكن لجمعية التأسيسية أنشأت حكومة مؤتلفة من الأحزاب الثلاثة وتم الائتلاف حول الجنرال دى جول على أن هذا الائتلاف واجه مصاعب خطيرة لم تنقطع واضطر الجنرال إلى أن يستقيل ، لأنه لا يريد أن يحتمل تبعات لا يطمئن إلى احتمالها .

والمسألة الآن هى هل يبقى الائتلاف بين الأحزاب الثلاثة أم يزول . وكل شىء يدل إلى اليوم وهو الثالث والعشرين من شهر يناير على أن الأحزاب تحاول استبقاء الائتلاف إلى أن يتم وضع الدستور وإجراء الانتخابات البرلمانية . ولكن هذا الائتلاف ، سيظل عسيراً أشد العسر لأنه مخالف لطبيعة الأشياء . فالشعب الفرنسى مياسر ما فى ذلك من شك ، وكان الشيوعيون مصدر المصاعب للجنرال دى جول ، فاذا بقى الائتلاف بعد استقالة الجنرال سيكون الجمهوريون الشعبيون هم مصدر المصاعب للحكومة الجديدة . ذلك لأن قوة الجنرال دى جول كانت تؤيد الميامنين من الجمهوريين الشعبيين والاشتراكيين . فقد اصبحت كفة الياسرين هى الراجحة بعد استقالة الجنرال دى جول وسيقوم الحزب الجمهورى الشعبى فى خلق الصعوبات للحكومة الجديدة مقام الحزب الشيوعى فى خلقها للحكومة الجديدة .

والخير كل الخير أن تواجه الحقائق كما هى وأن تؤلف الحكومة من قوم يأتلفون فى اهوائهم ومذاهبهم فى النظم السياسية والاجتماعية إلى أبعد حد ممكن . ولو قد أنشأ الفرنسيون لأنفسهم حكومة مؤتلفة من الاشتراكيين والشيوعيين منذ انتخبت الجمعية التأسيسية وقام الميامنون جميعاً بالمعارضة لجنبوا انفسهم مصاعب كثيرة فى سياستهم الداخلية والخارجية ولكنهم آثروا ومازالوا يؤثرون حكومة تصور الوحدة القومية إلى أن يوضع الدستور . وتجرى أمورهم فى مجراها الطبيعى . وهم من غير شك أعلم بما يريدون وأقدر على تحقيق مايريدون .